الاستثمارُ في اللغةِ العربيةِ

تعليمها للناطقين ولغير الناطقين بها

نماذج من بريطانيا

اللغة العربية كنز أكثر أهمية من الذهب الأحمر وأغلى من الذهب الأسود. إنَ الدول التي تعرف كيف تستثمر الذهب الأصفر في اقتصادها وسياساتها وتستثمر الذهب الأسود في صناعاتها وتعليمها سادت على جميع الدول - بما في ذلك الدول المنتجة للذهب ذاتها- في جميع المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والمالية، وأخضعت الجميع لتعليماتها وقواعد لعبتها وأهدافها الخاصة. والدول التي تستثمر في لغاتها هى الآن من أغنى الدول فكرياً وثقافياً وحضارياً وعلمياً فكيف إذا ما كان هذا الاستثمار في لغةٍ تتمتع بعمقٍ ديني وثراءٍ روحي يفوق بقية اللغات وتنعم بفضاءٍ يستوعب كلَ اللغات؟

فـ"الحمد لله الذي جعل اللسان العربي أعذب الألسنة مخرجاً، وأعدلها منهجاً، وأوضحها بياناً، وأوسعها افتناناً، وجعل الإعراب حلياً للسان، وزماماً وفصلاً لما اختلف فيه من معانيه." (1) قال عمر ابن الخطاب: " تعلموا اللغة العربية فإنها تشبب العقل وتزيد المروءة." (2)

أكرم الله العرب والمسلمين بأن اختار لكتابه الكريم اللغة العربية أداةً لإيصال رسالة الإسلام، إلى جميع أصقاع الأرض فهي كنز يضم في أحشائه ثرواتٍ لا تقدر بثمن، وإن ضرورةَ أن يتعلمها المسلم تندرج تحت القاعدة الأصولية: "ما لا يتم الواجب الا به فهو واجب" فالصلاة واجبة على كل المسلمين عربا وعجماً، والقراءة في الصلاة لا تكون الا بقراءة آيات من القرآن الكريم باللغة التي نزلت بها؛ ولا تصح الصلاة بقراءة ترجمة معاني القرآن. إذن والحالة هذه وجب على كل مسلم أن يتذاكر القرآن ويتعلم اللغة التي نزل بها كي يفهم الآيات ومعانيها ويتمتع باستخراج كنوزها واستثمارهذه الكنوز في حياته وحياة من يحيط به؛ ويرتوي بقراءة الأحاديث الشريفة بلغتها الأصلية؛ ويثري العقل بقراءة كتب التفاسير المختلفة في لغتها الأصلية، قال تعالى:"**وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ."(3)** وسواءاً كان هذا الواجب (واجب تعلم المسلم اللغة العربية) مطلقاً أم مقيداً فأننا لا نشك في أن كل مسلم على وجه البسيطة يتمنى أن يعرف اللغة العربية ويتقنها ليتذوق حلاوة هذا اللسان وطلاوته وليدرك بنفسه مدى عمق معاني الآيات

القرآنية وعلاقاتها بحياته العامة والخاصة وإمكانية تأثير تلك المعاني على تطور المجتمعات في جميع الجوانب، الفكرية والأخلاقية والاقتصادية والمالية والسياسية والاجتماعية.

في أهمية اللغة العربية:

كره عمر بن الخطاب "أن يتعود الرجل النطق بغير العربية لأن اللسان العربي شعار الإسلام وأهله، واللغات من أعظم شعائر الأمم التي بها يتميزون." (4)

ويؤكد أبو منصور الثعالبي رحمه الله (ت 430هـ) في مقدمة كتابه (فقه اللغة وأسرار العربية) ما ذكرناه في المقدمة على أن"من أحب العربية عني بها وثابر عليها وصرف همته إليها، والعربية خير اللغات والألسنة والإقبال على تفهمها من الديانة إذ هي أداة العلم ومفتاح التفقه في الدين وسبب إصلاح المعاش والمعاد، ثم هي لإحراز الفضائل والاحتواء على المروءة وسائر أنواع المناقب كالينبوع للماء. . ." وقال شيخ الإسلام ابن تيميّة رحمه الله (ت 728 هـ) في كتابه القيم "اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم" مبيناً أهمية تعلم اللغة العربية في صقل شخصية المسلم والارتقاء به :" اعلم أنّ اعتياد اللغة يؤثر في العقلِ والخلقِ والدينِ تأثيراً قويّاً بيّناً ، ويؤثر أيضاً في مشابهةِ صدرِ هذه الأمّةِ من الصحابةِ والتابعين ، ومشابهتهم تزيد العقلَ والدينَ والخلقَ ، وأيضاً فإنّ نفس اللغة العربية من الدين ، ومعرفتها فرضٌ واجبٌ ، فإنّ فهم الكتاب والسنّة فرضٌ ، ولا يُفهم إلاّ بفهم اللغة العربية ، وما لا يتمّ الواجب إلاّ به فهو واجب" (5)

ولكي ندرك مدى صدق هذا القول، علينا أن نسترجع صوراً من تاريخ الحضارة الإسلامية لنعرف كيف صهرت اللغة العربية جميع الأجناس في بوتقة واحدة حتى أصبحت تلك الحضارة مناراً تستنير به الأمم في كافة الميادين. وبنظرة سريعة يمكن للمقارن بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية أن يدرك الفرق الشاسع بين الإثنتين فالأولى حافظت على كرامة الإنسان وحياته وفكره ورعت الطبيعة وحافظت عليها وتغنت بها مستلهمة ذلك التوجه من خصائص العمق الديني الذي تميزت به اللغة العربية، أما الحضارة الحديثة فإن محاور التواصل فيها - ممثلة في لغاتها المختلفة - تفتقد إلى العمق الديني والبعد الروحي، لهذا نجدها حضارة براقة شديدة اللمعان أعمت كثيراً من الأبصار، لها ضجيج وصخب أصمَ كثيراً من الآذان؛ اهتمت بالمادة والشكل في كل أوجه الحياة حتى الإنسان اهتمت بشكله وفرغته من مضمونه الإنساني، فاصبح رقماً في منظومة أليكترونية وآلة منتجة لا تعبأ بآلام الآخرين ومصلحتهم حتى وإن بدى الأمرغير ذلك.

وهكذا يكون من أدعى دواعي الاهتمام باللغة العربية ومن أهم طرق الاستثمار فيها هو تعليمها بنحوها وبقواعدها، للناطقين ولغير الناطقين بها من المسلمين بشكل صحيح وبطرق متميزة وحيوية تتماشى مع روح العصر وتقنياته.

يقول مصطفى صادق الرافعي - رحمه الله -:" ما ذلت لغة شعبٍ إلا ذلَ، ولا انحطت إلا كان أمره في ذهابٍ وإدبارٍ، ومن هذا يفرض الأجنبي المستعمر لغته فرضاً على الأمَة المستعمرة، ويركبهم بها، ويُشعرهم عظمته فيها، ويستلحقهم من ناحيتها، فيحكم عليهم أحكاماً ثلاثة في عملٍ واحدٍ؛ أما الأول: فحبس لغتهم في لغته سجناً مؤبداً، وأما الثاني: فالحكم على ماضيهم بالقتل محواًونسياناً، وأما الثالث: فتقييد مستقبلهم في الأغلال التي يصنعها، فأمرهم من بعدها تبعٌ." (6)

نعم، وهو الأمر الذي يفسر الوضع المعاصر لمعظم الدول العربية والإسلامية التي ترزح تحت أنواعٍ كثيرة من الاستعمار، أسوأها الاستعمار الفكري الذي غزى دول العالم بمسميات مختلفة أحدثها فلسفة "العولمة"، التي تسعى لتصدير اللغات الأجنبية وخاصة اللغة الانجليزية لتكون لغة العصر ولغة الإنتاج والتواصل والسيادة على حساب لغات كثيرة منها العربية. سحر العربي بالغرب وحضارته وغدا لا يعرف العربية ويعتذر أنه لا يجيد العربية أو أن العربية ليست تخصصه، إلى أن أضحت كتب التراث العربي، التي تمثل - كما هو معروف - منابع المعرفة والرقي والحضارة العربية الإسلامية التي استقى منها الغرب ووضع أسس بنائه الحضاري عليها، أضحت نصوص تلك الكتب أحاجي لا يقرؤها الا المتخصص والعالم، أما العامة فلا تعرف تلك الكتب أصلاً وإن سمعوا بها فلن يستطيعوا فك طلاسمها. اختار العرب الطرق التي عبدها لهم الغير وساروا عليها فأصبحوا تابعين مقلدين مستهلكين وأصبحت أمتنا العربية الإسلامية أمة مستهلكة ، فقيرة غير منتجة.

أثر إهمال تعلم اللغة العربية:

يؤدي عدم إتقان اللغة العربية إلى مشاكل كبيرة في فهم مضمون الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة وتعليمات الدين الإسلامي ، وقد يكون هذا الجهل سبباً في ضلال كثير من الناس؛ قال ابنُ جني: "إنَّ أكثر مَن ضلَّ من أهل الشريعة عن القصدِ فيها، وحاد عن الطريقةِ المثلى إليها، فإنما استهواه واستخفَّ حلمَه، ضعفُه في هذه اللغةِ الكريمة الشريفة التي خُوطِب الكافَّةُ بها" (7)
من أمثلة أثر ذلك الجهل، استدلال بعضهم على تحليل أكل شحم الخنزيرواستدلوا على ذلك بقوله تعالى: " ولحم الخنزير" في سور (البقرة 173، المائدة 3، النحل 115) فإنه حسب فهمهم أن

التحريم اقتصر فقط على اللحم دون غيره فدل أنه حلال."(8) ولم يعلم هؤلاء أن اللحم يطلق على الشحم وغيره بخلاف الشحم فلا يطلق على اللحم، حسب قول الشاطبي.

وعن الحسن أنه قيل له: "أرأيت الرجل يتعلم العربية ليقيم بها لسانه ويقيم بها منطقه؟ قال: نعم. فليتعلمها فإن الرجل يقرأ بالآية فيعيا بوجهها ، فيهلك" (9) وعنه أيضا قول : "أهلكتكم العجمة" تتأولون القرآن على غير تأويله" (10)

الجهل باللغة العربية وأثره على الجاليات المسلمة في بريطانيا:

في بريطانيا، بل وفي كل الدول الغربية كان حادث الحادي عشرة من سبتمبر 2001 سبباً في التفات كثير من الغربيين إلى الدين الإسلامي ودفعهم فضولهم إلى التعرف عليه، وبعد تلك الفترة سجلت المراكز الدينية الثقافية أعداداً غير مسبوقة من الراغبين في اعتناق الدين الإسلامي. ودخل كثير من الناس في الدول الغربية في دين الله أفواجاً، ولكن وبعد دخول تلك الأعداد الكبيرة منهم في دين الله بدأت أعداد كبيرة تتململ، وخاصة العنصر النسائي منهم، وكان من ضمن أهم الأسباب أمور ثلاثة: الأول: عدم تعلمهن اللغة العربية الذي أدى إلى عدم معرفة حقوقهن الإسلامية. والثاني: زواجهن من مسلمين لا يعرفون اللغة العربية؛ يتلقون تعليماتهم الدينية من شيوخ لا يجيدون العربية؛ حصلوا على معلوماتهم الدينية عن طريق التراجم وخلطوا العادات والتقاليد بالدين. الثالث: غياب العمل العربي الموحد والمنظم والواعي في مجال الدعوة ومتابعة المسلمين الجدد بشكلٍ جاد. هذا الأمر أثر سلباً في العلاقات الإنسانية الإجتماعية بين الرجل وزوجته ومن يحيطون به ومن هنا أتت الكارثة؛ حيث أدى عدم معرفة اللغة العربية إلى عدم معرفة أصول الدين وأصول التعاملات الدينية التي يتعلمها المسلم من نصوص القرآن ومتن السنة النبوية ومن التفسيرات المختلفة للنصوص الدينية؛ ونتيجة لعدم فهم التعاليم الدينية بشكل صحيح، ونتيجة لعدم الشعور بالثقة في الحضارة الإسلامية لعدم معرفة مؤسسيها وتاريخهم ، ارتبكت حياة الكثيرمن حديثي العهد بالإسلام وضاع البعض منهم وانخرط في مسالك من الحياة لا يسلكها المسلم الواعي القاريء المطلع، وامتلأت سجون بريطانيا منهم، وتفككت أسرهم حتى أن كثيراً ممن اعتنق الدين الإسلامي يشعرون بالوحدة والحيرة والانعزال.

لفتت هذه الظاهرة الخطيرة نظر الباحثة منى مفتاح بالقاسم الإدريسي؛ وفي مقابلة معها ذكرت أنها بدأت بتتبع هذه الظاهرة (في بحث لم تنشره بعد) بغرض الوصول إلى أسبابها المختلفة، وكان أول ما بدأت به هذه الباحثة هو أنها سارعت إلى تعلم اللغة العربية في أحد معاهد اللغة العربية في المملكة العربية السعودية للوقوف بنفسها على الفرق الذي يحدثه تعلم اللغة العربية

للإجابة على كثير من التساؤلات التي تشغل بال المسلمين البريطانيين حديثي العهد بالإسلام ، وكانت مفاجاتها كبيرة حين اكتشفت الاختلاف الكبير في فهم النصوص القرآنية ومعانيها وفهم متون السنة النبوية ومعانيها، بين المصدر والترجمة؛ وعرفت كيف أن هذا الاختلاف أدى إلى تنامي الممارسات الدينية الخاطئة التي كانت تشهدها بين المسلمين غير الناطقين بالعربية في بريطانيا، وبالتالي إلى نفور كثير من المسلمين حديثي العهد بالإسلام والمسلمات الشابات بصورة خاصة، من الدين الإسلامي. من ضمن الأشياء التي لفتت نظر الباحثة في هذا الموضوع، غياب شبه كامل للعنصر العربي في موضوع الدعوة الفاعلة ومتابعة المسلمين الجدد ورعايتهم والإجابة على تساؤلاتهم، وترك المجال مفتوحاً أمام المجتهدين من المسلمين غير الناطقين بالعربية من أجناس مختلفة خلطوا العادات والتقاليد بالدين، الأمر الذي أثر بصورة سلبية في المسلمين الجدد وزعزع شعورهم بالأمان والاستقرار.

تقول إحدى البريطانيات من المسلمات الجدد: " ... إن الإسلام (للأسف) دين لا يحظى بالفهم المطلوب هنا وهو في حاجة إلى فئة من الناس لهم القدرة على التأثير في المجتمع البريطاني، بحيث لا يضطر الدعاة (وتقصد الدعاة غير الناطقين بالعربية) إلى اللجوء الى الطرق المباشرة غير المدروسة لنشره في بريطانيا... إن موضوع تعلُم اللغة العربية موضوع مهم، حيث لا نجد أحداً في الجالية المسلمة يهتم بتعليم المسلمين الجدد اللغة العربية. ومما يزيد خيبتنا أنه لا توجد مساجد انجليزية، وليس لنا خيار سوى أن نتردد على المساجد الأخرى حيث الأردو أو اللغة التركية هي اللغات المستخدمة للتواصل. انتبهوا يا أمة الإسلام." (أ) مترجم من موقع اسلام21

وقالت أخرى: " كثير من المسلمين المنحدرين من أسر مسلمة في حاجة أكثر إلى المساعدة والعون ... الأهم من ذلك أن مسلمينا لابد أن يكونوا متعاطفين مع بعضهم ... (تضرب مثلاً لعدم وجود هذا التعاطف) : مؤخراً قام مدرسون غير بريطانيين بتدريس بعض معتنقي الإسلام الجدد اللغة العربية وكان معظم المتلقين بالغين وعلى قدر كبير من التعليم ولكن اللغة العربية لسان غريب عليهم فهم يخطئون في تهجي الكلمات أخطاءاً لا يخطئها أطفالهم (أي أطفال المعلمين العرب). شاهدت بأم عيني علامات القرف والإنزعاج على وجوه هؤلاء المعلمين بسبب أخطاء المتعلمين. إن من المتوقع ممن يساعد المسلمين الجدد، أن يكونوا على قدر أكبر من التعاطف والتفهم." (ب) مترجم من موقع اسلام 21

وهذه بعض أمثلة تعبر عن واقع أليم يعاني منه المسلمون الجدد في بريطانيا بشكل دائم. إن غياب العرب المهتمين باللغة العربية عن الساحة، ساحة متابعة المسلمين الجدد ومساعدتهم ، بتعليمهم

اللغة العربية بشكل منظم، يساعدهم على التحدث بها ويعينهم على فهم أمور دينهم وطرق ممارستها وتمكنهم من الاطلاع على تاريخ العرب والمسلمين، وترك الأمر للمسلمين غير الناطقين بالعربية يجتهدون كلٌ حسب قدراته وعلمه لهو مشكلة كبيرة لا بد من الالتفات إليها.

ما يهمنا في هذه القصص هو أن ندرك أن الفرد الإنجليزي يحب القراءة وقد تربى على استخدام القراءة أداة لاستقاء المعرفة والمتعة، فلو بذلنا الجهد لتعليمهم اللغة العربية بطريقة صحيحة وأنشأنا لهم المعاهد والمدارس الجيدة لمعرفة قواعد اللغة ودراستها، يمكننا أن نتصور دور هذه المدارس والمعاهد في انتشال هؤلاء المسلمين الجدد من وحدتهم وتحريرهم من سجون اعتمادهم على الآخرين في استقاء معلوماتهم الدينية. تضع كثير من الدول الغربية شرط إتقان لغتها القومية أساساً لمنح جنسيتها وأعتقد أن معتنقي الدين الإسلامي أولى بتعلُم اللغة العربية وإتقانها حال اختيارهم الدين الإسلامي سبيلاً لهم. وما أشبه اليوم بالأمس في هذا الحال، حيث كان الروم والفرس يدخلون في دين الله، والفرق أنه في هذا العصر - للأسف - لايجدون من يعلمهم اللغة العربية بطرق صحيحة بل لا يجدون من يتقنها ويتحدث بها بطلاقة من العرب أنفسهم.

محاولات لتعليم اللغة العربية في بريطانيا:

إن من أهم أسباب اهتمام العرب بوضع علم النحو كان اللحن ودخول العجمة على اللسان العربي بسبب اختلاط العرب بغيرهم من الأجناس بعد توسع الفتوحات الإسلامية.

عندما كان العرب يتكلمون اللغة بالسليقة ولا يلحنون، كان اختلاط العجم بهم خير وسيلة لتعلم اللغة العربية والتواصل بواسطتها عن طريق التخاطب والتأليف والرواية. فقد كان للاختلاط - في بداية ظهور الإسلام - دور كبير في تعلم الكثير من العجم - من ذوي الاستعداد - للغة العربية حتى أتقنوها وبرعوا في فنونها وأبدوا الولاء الخالص لها؛ "فكان (منهم) صاحب صناعة النحو سيبويه والفارسي من بعده، والزجاج من بعدهما، وكلهم عجم في أنسابهم، وإنما ربُوا في اللسان العربي فاكتسبوه بالمربى ومخالطة العرب وصيروه قوانين وفناً لمن بعدهم." (11)

"ومهما يكن من نقص المعلومات الموثقة (حول التعليم الممنهج للغة العربية آنذاك) ، فإن الذي لا شك فيه أن العربية انتشرت هذا الانتشار في نوعه وفي سرعته ؛ لأن الإسلام والعربية كانا شيئاً واحداً، ولم يكن يتصور فصل أحدهما عن الآخر." (12) "ولم تزل الأئمة من الصحابة والراشدين ومن تلاهم من التابعين يحضُون على تعلُم العربية وحفظها، والرعاية لمعانيها" (13)

وعندما "فشا الفساد في اللغة والعربية، واستبان منه الإعراب الذي هو حليها، والموضح لمعانيها، فتفطن لذلك من نافر بطباعه سوء أفهام الناطقين من دخلاء الأمم بغير المتعارف من كلام العرب، فعظم الإشفاق من فشو ذلك وغلبته حتى دعاهم الحذر من ذهاب لغتهم وفساد كلامهم، إلى أن سببوا الأسباب في تقييدها لمن ضاعت عليه وتثقيفها لمن زاغت عنه. " (14) ومن هذه الجهود العظيمة التي أخذوها على عاتقهم، ما قام به أبو الأسود الدؤلي من تأسيسٍ للنحو العربي؛... قال أبو الأسود: "هؤلاء الموالي قد رغبوا في الإسلام ودخلوا فيه، وصاروا لنا أخوة، فلو علمناهم الكلام." (15) وانبرى وغيره من المهتمين في عصره والعصور المتتالية في التأليف في علم النحو وتبسيطه وتيسير سبل دراسته بما يضمن ضبط اللسان العربي والحفاظ على خصائصه. نذكر من هؤلاء العلماء عبدالقاهر الجرجاني الذي قدم مجموعة مؤلفات في النحو العربي؛ "رغبة في أن يقدم للراغبين في تعلم العربية من أبناء اللغات الأخرى النحو العربي في صورة سهلة تيسر عليهم تعلم القرآن الكريم وتفهم معانيه" (16)

اللغة العربية في عصرنا الحديث:

وفي عصرنا الحديث، وبتبدل حال المسلمين من مرحلة الغالب إلى مرحلة المغلوب قل الاهتمام باللغة العربية والنحو العربي، وفشى اللحن في اللغة وعادت العجمة إلى ألسنة المسلمين عرباً وعجماً إلا من رحم الله. وأصبحت حتى كتب النحو التي يفترض أن تضبط اللغة وتسهل استخدامها، أصبحت أحاجي ينفر منها العامة، الجاهل منهم والمتعلم، وعادت الحاجة تلح على المهتمين باللغة العربية والغيورين عليها أن ينبروا لنصرتها حتى تعود لها الصدارة كما كانت، وليس هذا الأمر على الله ببعيد.

معاهد لتعليم اللغة العربية في بريطانيا:

هناك العديد من المعاهد في بريطانيا لتعليم اللغة العربية بعضها يشرف عليها عجم لا علاقة لهم بها سوى التجارة، هذه المعاهد- للأسف- ليست مبنية على أساس صحيح، فهي معاهد ربحية بالدرجة الأولى، تقوم سياستها على تحديد الهدف من تعلم اللغة العربية وتفصيله تبعاً لرغبة المتعلم (الزبون) مثل : التجارة، السفر، الإقامة، الدراسة، حيث تعتمد بصورة أساسية على الكم

في الحصيلة اللغوية وأسهل الطرق لاستخدامها من أجل الوصول إلى الهدف الأصلي من الدراسة. من هذه المراكز: مركز سايمون أند سايمون لتعليم اللغات. (ج)

ومركز تعليم اللغة العربية في سواس (كلية الدراسات العربية والأفريقية في لندن) - جامعة لندن. يركز المعهد هنا على الجانب التواصلي الشفهي بصورة أوضح، وهناك برامج أخرى مفصلة حسب طلب الراغب في تعلم اللغة. (هـ)

هذا بالنسبة للكبار أما بالنسبة للصغار فالأمر لا يختلف كثيراً، فالتركيز يتم فقط على الجانب الترفيهي المادي، حيث تساعد المدرسة الطفل على اكتساب حصيلة لغوية تمكنه من التعبير عن نفسه في بعض المواقف. هناك هامش من المعلومات العامة المرتبطة باللغة العربية تختلف سعته من مدرسة إلى مدرسة. أمثلة لمثل هذه المدارس:

النادي العربي للأطفال في بريطانيا. (و)

ولنتكلم العربية . (ز)

ومدرسة تم تأسيسها حديثاً في لندن باسم مدرسة الفرسان، ذات هامش إسلامي معقول حيث التركيز على التربية الإسلامية والأخلاق الإسلامية ولكن تظل صبغة السطحية تغلف المنهج. (ح)

إذن هناك مدارس ومعاهد لتعليم اللغة العربية في بريطانيا للأطفال والكبار، ولكن ما نوعها؟ هذه المدارس تؤدي غرضاً واحداً وهو اكتساب حصيلة لغوية كافية لإدارة حوارٍ في مجالٍ محدد أو مجالٍ عام، أما الدراسة المبنية على دراسة النحو والقواعد اللغوية - وهي أساس لتقويم اللسان وفهم معاني النصوص لتفعيلها - فهي غير موجودة على الإطلاق أو إن لها هامشاً ضيقاً جداً. وهنا تكمن المشكلة؛ فبغير فهم قواعد النحو لا يمكن تقويم اللسان العربي وهذه النقطة يجب أن تكون محور عملية الإستثمار في اللغة العربية. وهذا يعيدنا إلى أسباب ظهور علم النحو.

مقترحات للبدء في تأسيس مدارس للغة العربية قائمة على تلك الركيزتين القويتين:

بعد هذا العرض السريع وبالوقوف على واقع حال اللغة العربية بين المسلمين الجدد في بريطانيا وما تحتاجه هذه اللغة العظيمة لتفعيلها في حياة المسلمين اليومية والنهوض بها لتكون وطناً يستظل به أبناؤنا وبناتنا، كبارنا وصغارنا، علماؤنا ومتعلمونا، ومن ثم استخدامها معولاً نقتلع-

سوياً- بواسطته ما بأعماقها من كنوز واستغلال هذه الثروة لرفعة الفرد ورقي المجتمع المسلم من أجل جني كل هذا الخير، اقترح ما يلي:

1. أن نبدأ بأنفسنا وبتعليم أبنائنا ودفعهم دفعاً بكل الطرق لتعلم اللغة العربية وحبها.
2. أن يبادر المجلس الدولي للغة العربية أو أي جهة ذات نفوذ بعملٍ ما تحدد بواسطته لجان جادة مكونة من أهل الرأي والفكر والثقافة والأدب واللغة والدراية، المهتمين باللغة العربية والجادين في مشروع استثمارها، على أن يتفرغ هؤلاء للعمل من أجل إيجاد طرق يمكن بواسطتها استعادة مكانة اللغة العربية في العالم العربي والإسلامي وابتكاروسائل يمكن من خلالها ايصال الفكرة إلى كل راغب في تعلم اللغة العربية عربي وأعجمي. ومن خلال هذه اللجان يمكن الانتقال إلى العمل عن طريق:
3. تجنيد كل المهتمين باللغة العربية والمتخصصين في اللغة العربية، نساءاً ورجالاً لوضع المادة الدراسية المتكاملة لتدريس النحو العربي واللغة العربية بشكل صحيح وفعَال يصلح لتعليم العربي والأعجمي.
4. تجنيد كل المهتمين باللغة العربية المتخصصين في مجال علم النفس والتربية والتعليم وطرق التدريس لوضع المناهج وابتكارطرق التدريس الفاعلة لإيصال المعلومة بإسلوب يليق بمكانة اللغة العربية ويتمشى مع واقع حال العصر.
5. تجنيد كل المهتمين باللغة العربية المتخصصين في حقل الإعلام ووسائله والدارسين في هذا المجال للتعاون مع المهتمين من المتخصصين في دراسات اللغة العربية ومع واضعي المناهج وطرق التدريس لإنتاج برامج تعليمية باللغة العربية تهتم بهذه اللغة وترعاها بكل الوسائل الحديثة حتى نعيدها إلى مكانتها في عقول الناس وألسنتهم.
6. تجنيد كل المهتمين باللغة العربية من الشباب العربي المسلم ومعتنقي الدين الإسلامي من الغربيين (المتخصصين وغير المتخصصين) القادرين على استخدام وسائط التواصل الاجتماعي، بعمل حملات مكثفة بين الأفراد (في الداخل والخارج) والدوائرالحكومية والمؤسسات المختلفة (حكومية وخاصة) مستعينين بالفئات السابق ذكرها من المهتمين في نشر الوعي بأهمية اللغة العربية في نهضة الشعوب المسلمة والإرتقاء بالمجتمع المسلم وتوضيح علاقة اللغة بالفكر والإبداع والإنتاج المادي والكسب المعنوي المادي، وإنتاج وسائل فكرية تواصلية اجتماعية تدفع الأفراد والجماعات (في الداخل والخارج) إلى التحاور في أهمية اللغة العربية سعياً لكسر قيود التبعية للغير.

7. تكوين لجان من الأفراد المهتمين باللغة العربية والمتخصصين في مجال العلاقات العامة والاستعانة بهم لحث كل المهتمين من أصحاب رؤوس الأموال وتشجيعهم للمساهمة بشكلٍ فعال لدعم أي مجهودٍ جادٍ يهدف إلى خدمة اللغة العربية (داخل الدول العربية وخارجها) والاستثمار فيه مثل إقامة مدارس ذات كفاءة عالية لتعليم اللغة العربية للراغبين من الناطقين وغير الناطقين بالعربية من الصغار ومعاهد للكبار يكون مركزها في بريطانيا وتأهيل هذه المؤسسات بأفضل المدرسين من الناطقين بالعربية والمدربين وتوفير أحدث الأجهزة لتدريس اللغة وأفضل الأماكن، وطباعة المنشورات والكتب للصغار والكبار.

بتطبيق الاقتراحات المشار إليها يكون الفرد والمجتمع مؤهلاً ومستعداً لاستقبال الرسالة والتفاعل معها والاستفادة منها وسيشعر حتماً بأهميتها وقيمتها.

مشروع "سلسلة المنى لتعليم اللغة العربية للصغار"

في المؤتمر الثاني للغة العربية بإشراف المجلس الدولي للغة العربية الذي انعقد في دبي العام الماضي (1434هـ 2013) (17) دارت ورقة العمل التي قدمتها، حول السلسلة التي ألفتها لتعليم اللغة العربية للصغار تحت عنوان: "سلسلة المنى لتعليم اللغة العربية للصغار" دارت حول تعليم اللغة العربية والنحو بشكل صحيح للأطفال، شرحت فيها الأسباب الأساسية التي دعتني لتأليف تلك السلسلة وكان من أهم تلك الأسباب تفلت اللغة العربية من لسان أبنائي وأبناء الجالية العربية واختلاطها باللغة الانجليزية بشكل يجعل أمر التفكير في وضع منهج مدروس ينافس مناهج اللغة الانجليزية في تعليم اللغة الانجليزية أمراً لازماً. وقد وفقني الله في مدة ليست بالقصيرة من إعداد منهج مدروس قوي يؤسس لتعليم اللغة العربية في البلاد العربية والغربية على السواء. وقد عرضت هذه السلسلة على العديد من المهتمين والمتخصصين فنالت إعجاب الجميع وانتهى المطاف بالسلسلة عند مرحلة الإعجاب. لا يستطيع أحد أن يدرك أهمية الاستثمار في اللغة العربية إلا الذي عاش غربة "اللغة الأم" وشاهد هذه اللغة تذوب على ألسنة أبنائها الصغار والكبار مثل رقائق ثلج على سطح دافيء.

لديَ مكتبة عامرة بكتب التراث العربي التي تحتوي على كنوز من المعرفة والعلم الخالص الذي بنيت على أساسه الحضارة الإسلامية والغربية ولكن للأسف قد تُلقى هذه الكتب في حاويات

النفايات لأن أبنائي وأبناء من حولي وإخوتي ومن أعرف من العرب في كل أنحاء العالم لا يستطيعون قراءتها وبالتالي لن يتمكنوا من إدراك قيمتها وقيمة محتواها. يعتقد الجميع أن هذه الكتب لا يقرؤها الا المتخصصون في اللغة العربية والأدب العربي. يعتقد الطالب العربي المسلم في كلية الطب أو الهندسة أو الجغرافيا أو الفن، في أي مكان في العالم أن ليس هناك ضرورة لتعلم اللغة العربية وإتقانها، وأنه يكفي له أن يتحدث بلهجة المنطقة التي ينتمي إليها وأن يعرف من اللغة ما يمكنه من قراءة صحيفة أو مجلة إجتماعية، أما النحو فهو لأهل التخصص فقط. هذا هو حال أبنائنا في الدول العربية فما بالك بأبناء الجالية العربية المقيمة في الدول الغربية. علينا أن ندرك جيداً أن لا إستثمار أهم من الإستثمار في تعليم اللغة العربية ونحوها لأولادنا في الداخل والخارج وهو السبيل الوحيد لاستعادة الثقة بأنفسنا و لعودة الطمأنينة لقلوب أبنائنا، وإشعارهم بأنهم ينتمون إلى أمة أثرت العالم بعلومها وفنونها وأخلاقها. كما ذكرت في المقدمة التي وضعتها للسلسلة أن سبب تكريسي كل ذلك الوقت لتأليف سلسلة المنى هو إدراكي للحاجة الملحة لضرورة البدء بتقديم اللغة العربية في قالب يختلف عن القالب التقليدي في تعليم اللغة العربية للصغار في الدول العربية مع الاحتفاظ بأسس تعليم اللغة والنحو في آنٍ واحد. وإني لأقدم هذا المشروع "سلسلة المنى لتعليم اللغة العربية" هدية لأبنائنا وبناتنا في كل مكان في العالم وأدعو المهتمين والمستثمرين أن يولوه الاهتمام ويتعهدوه بالنشر من أجل أبنائنا من أجل أمتنا من أجلنا. لتكن هذه السلسلة نواة لجهود أكثر وأكبر في مجال تعليم اللغة للأطفال والكبار عرباً وعجماً. لتكن هذه السلسلة الحلقة الأولى الجادة في سلسلة حلقات لا تنتهي من الجهود المتواصلة لخدمة اللغة العربية وأبناء العربية ومحبي اللغة العربية. لتكن نافذة يطل من خلالها محب اللغة العربية ويستعيد الثقة في الحضارة العربية والأمة العربية وأبناء الأمة العربية، لتكن البداية.

يقول الدكتور عبدالغفور الهيتي في تقديمه لسلسلة "المنى لتعليم اللغة العربية للصغار" : " فلا غبار على أن هذه السلسلة القيمة في محتواها وطريقة عرضها تختلف عن سابقاتها والتي وجدتها في الأسواق سواءاً في حالة الاقتناء أم النقد لها منذ أن وطئت قدماي الجزر البريطانية عام 1986م وحيث وجدنا أن مشروع تعليم وتعميم العربية أصبح مهماً في خدمة أبناء الجالية وما يحيط بها من أسر وعائلات مسلمة وأجنبية حيث مختلف الاهتمامات. ومن نافلة القول هنا أن أشير إلى أن الحاجة أصبحت ماسة لا بل شديدة ـ الآن ـ لتشكيل وتأسيس الجمعيات والمدارس والمراكز الثقافية والتي تعنى بتدريس اللغة الأم لأبناء الجيل الثاني من أولاد الجيل الأول الذين تدفقوا على شكل أفراد وجماعات وأفواج إلى بلاد الغرب حيث كانت اهتماماتهم منصبة على بناء المساجد ودور العبادة."

الخاتمة:

يقال أن علياً رضي الله عنه، أشار على أبي الأسود الدؤلي بوضع علم النحو لعجمة دخلت على اللسان العربي؛ منها أن أبا الأسود دخل على ابنته فقالت له: يا أبت ما أجملُ السماء؟ فقال : نجومُها. قالت يا أبت ما أريد أن أسأل، إني أتعجب. قال لها فقولي: ما أجملَ السماء. فقص أبو الأسود هذه القصة على علي رضي الله عنه فدعاه إلى إنشاء علم النحو. وأنا أنهي ورقتي بسؤالي: ما أجملُ اللغة العربية؟ وأجيب: نحوُها وقواعدُها لأنها القانون الذي يضبطها على لسان المتحدثين بها وهو مفتاح فهمها واستيعابها وصياغتها. وأتعجب: ما أجملَ هذه اللغة! لغناها وعذوبتها وغزارة شعرها ودقتها وتاريخها وأصالتها وقدسيتها. نحب لغتنا كثيراً ونعشقها وهي تاج على رؤوسنا، ولكن آن الأوان لنتوقف فيه عن التغزل بلغتنا الجميلة وعلينا أن نعمل وبشكل جاد في ميادينها، ونشمر عن سواعدنا لنعبد طرقها وننير أزقتها ونرمم بيوتها لتستعيد رونقها لتستقبل أبناءها كباراً وصغاراً وترحب بالمسلمين جميعاً -عرباً وعجماً - في حلة جديدة تستحقها في عيد جديد ننتظره منذ زمن.

انتهى

المراجع :

1- أبو بكر الزبيدي الأندلسي، طبقات النحويين واللغويين، الطبعة الثانية، دار المعارف، القاهرة، ص 11.

2- أبو بكر الزبيدي الأندلسي، طبقات النحويين، ص 13

3- سورة القمر آية 22.

4- أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، اقتضاء الصراط لمخالفة أصحاب الجحيم، مكتبة الراشد، الرياض، الجزء الأول، ص 462.

5- أحمد بن تيمية، اقتضاء الصراط، ج1 (ص496.

6- مصطفى صادق الرافعي، وحي القلم، الطبعة الأولى، دار ابن حزم، بيروت، 2005، ص. 772-771.

7- أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، دار الكتب المصرية، القاهرة، الجزء 3، صز245

8- أبو اسحاق ابراهيم الشاطبي، الاعتصام، مكتبة التوحيد، ج2، ص 39

9- أبو اسحاق ابراهيم الشاطبي ، ج2 ص 42.

10- أبو اسحاق ابراهيم الشاطبي، ج2، ص42.

11- عبدالرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، المكتبة العصرية، بيروت، 2007، ص 542.

12-عبده الراجحي ،علم اللغة التطبيقي وتعليم العربية، دار المعرفة الجامعية، اسكندرية، 1995، ص115.

13- أبو بكر الزبيدي الأندلسي، طبقات النحويين، ص 10.

14- أبو بكر الزبيدي الأندلسي، طبقات النحويين، ص 11.

15- أبو بكر الزبيدي الأندلسي، طبقات النحويين، ص22.

16- عبدالقاهر الجرجاني ،العوامل المائة النحوية في أصول علم العربية، الطبعة الثالثة، دار المعارف، القاهرة، 1996، ص4.

17- المؤتمر الدولي الثاني للغة العربية، اللغة العربية في خطرالجميع شركاء في حمايتها، كتاب المؤتمر، 2013، الجزء 5 ، ص624-642.

توثيق مواقع في الشبكة العنكبوتية:

تاريخ المشاهدة 5 صفر 1435هـ

(a) http://www.solaceuk.org/index.php/testimonials/from-service-users

(b) http://www.solaceuk.org/index.php/testimonials/from-service-users

(c) http://www.simonandsimon.co.uk/courses/language-courses/arabic-language-training-

(d) http://www.soas.ac.uk/languagecentre/languages/arabic/

(e) http://www.arabicclub.co.uk/

(f) http://www.talktalkarabic.com/our-lessons/arabic-for-children/

(g) http://www.alfursanschool.co.uk/